الصاعقة التاسعة بعد المئة: قد علم البينُ منا البين أجفانا(*)

قَـد عَلَّمَ البَينُ منّا البَينَ أجـفـانَا ... تدمى وألَّفَ في ذا القلبِ أحـزانَا

أمَّلتُ ساعةَ ساروا كشْفَ معصمِها ... ليلبثَ الحيُّ دونَ السَّيرِ حيرانَا

ولوْ بدتْ لأتاهتْهم فحجّبَها ... صونٌ عقولَهُم منْ لحظِها صانَا

بالواخداتِ وحاديها وبي قَمَرٌ ... يظلُّ من وخدِها في الخدرِ خشيانَا(١)

أما الثيابُ فتعرى منْ محاسنهِ ... إذا نَضاها ويكسى الحسنَ عُريانَا

يضمُّه المسكُ ضمَّ المستهامِ به ... حتى يصيرَ على الأعكانِ أعكانَا(٢)

قد كنتُ أشفقُ من دمعي على بصري ... فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدَكمْ هانَا

تهدي البوارقُ أخلافَ المياهِ لكمْ ... وللمحبّ منَ التذكارِ نيرانَا

إذا قدمتُ على الأهوالِ شيَّعني ... قلبٌ إذا شئتُ أنْ أسلاكمُ خانَا

أبدو فيسجدُ مَنْ بالسوءِ يذكرني ... فلا أعاتبُهُ صفحًا وإهوانَا

وهكذا كنتُ في أهلي وفي وطني ... إنَّ النفيسَ غريبٌ حيثما كانَا

محسَّدُ الفضلِ مكذوبٌ على أثري ... ألقى الكميَّ ويلقاني إذا حَانَا

لا أشرئبّ إلى ما لمْ يفتْ طمعًا ... ولا أبيتُ على ما فاتَ حَسرَانَا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا سهل سعيد بن عبيدالله بن الحسين الإنطاكي.

(١) الواخدات: المسرعات من النياق.

(٢) الأعكان: مطاوي البطن.

ولا أُسرّ بما غَيري الحَميدُ به ... ولو حملتَ إليّ الدهرَ مَلآنَا
لا يجذبنّ ركابي نحوَهُ أحدٌ ... ما دُمتُ حيًا وما قلقلنَ كِيرانَا[1]
لو استطعتُ ركبتُ النّاسَ كلّهمُ ... إلى سعيدِ بنِ عبدِ الله بعرانا
فالعيسُ أعقلُ مِنْ قومٍ رأيتُهم ... عما يراهُ منَ الإحسانِ عُميانَا
ذاكَ الجوادُ وإن قلَّ الجوادُ لهُ ... ذاكَ الشجاعُ وإنْ لم يرضَ أقرانَا
ذاكَ المعدّ الذي تقنو يداهُ لنا ... فلو أصيبَ بشيءٍ منه عزّانَا
خفَّ الزمانُ على أطرافِ أنمُلِه ... حتّى تُوُهِّمن للأزمانِ أزمانَا
يلقى الوغى والقنا والنازلاتِ به ... والسيفَ والضيفَ رحبَ البالِ جذلانَا
تخالُه منْ ذكاءِ القلبِ محتميًا ... ومِنْ تكرّمِه والبشرِ نشوانَا
وتسحبُ الحبرَ القينات رافلةً ... منْ جودِه وتجرّ الخيلُ أرسانَا[2]
يُعطي المبَشِّرَ بالقصّادِ قبلهُمُ ... كمنْ يبشِّرُه بالماءِ عطشانَا
جزَتْ بني الحَسَنِ الحُسنى فإنهُمُ ... في قومِهِمْ مثلُهُمْ في الغرِّ عدنانَا
ما شيَّدَ اللهُ منْ مجدٍ لسالفِهم ... إلا ونحنُ نراهُ فيهمُ الآنَا
إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وُجدوا ... في الخطّ واللفظِ والهيجاءِ فرسانَا
كأنَّ ألسُنَهم في النطقِ قد جُعِلَتْ ... على رِماحِهِمْ في الطَّعنِ خرصانَا[3]

(١) الكيران: جمع كور: الرحل.
(٢) الحبر: الحلل اليمانية.
(٣) الخرصان: جمع خرص: حلقة السنان.

كـــأنهُمْ يـردونَ الموتَ منْ ظمـــإٍ ... أو ينشـــقـــونَ منَ الخطّيّ ريحـــانَا

الـكـائـنينَ لمنْ أبـغي عـــــداوتَـه ... أعـدى العـدى ولمنْ آخـيتُ إخـوانَا

خـــلائقٌ لو حـواها الزّنجُ لانقلبـوا ... ظُميَ الشّفاه جعادَ الشعرِ غرّانَا[1]

وأنفسٌ يلمـعـيّـاتٌ تُحـبُّـهُمُ ... لهـا اضطراراً ولو أقـصـوْك شنآنَا

الواضـــحينَ أبوّاتٍ وأجـــبـنةً ... ووالـداتِ وألـبـــــابـاً وأذهـانَا

يا صـائدَ الجحفلِ المرهوبِ جانبُـه ... إنَّ الليـوثَ تصـيـدُ الناسَ أُحـدانَا

وواهبًـــا ، كلُّ وقتٍ وقتُ نـائلـه ... وإنَّمـا يهبُ الوهّابُ أحـيـــانَا

أنتَ الذي سَبَكَ الأمـوالَ مكرُمـةً ... ثم اتخـذتَ لهـا السُّؤالَ خُـزّانَا

عليكَ منكَ إذا أخليتَ مـرتقبٌ ... لم تأتِ في السّرّ ما لمْ تأتِ إعلانَا

لا أستـزيدُك فيـما فـيكَ منْ كرمٍ ... أنا الذي نامَ إنْ نبّـهتُ يقظَانَا

فـإنَّ مـثلكَ باهيتُ الكرامَ به ... وردَّ سُـخطًا على الأيّامِ رضـوانَا

وأنتَ أبعـدُهم ذكـراً وأكـبـرُهم ... قـدراً وأرفـعُـهمْ في المجدِ بُنْيـانَا

قـد شرّفَ اللهُ أرضًـا أنتَ سـاكنُهـا ... وشـرّفَ النّاسَ إذ سَـوّاكَ إنْسَـانًا

(١) ظمي الشفاه: الذابلة في سمرة. الغران: البيض.